يا امي

يا علة كياني ، ورفيقة احزاني · يا رجائي في شدتي ، وعزائي في شقوتي · يا لذتي في حياتي ، وراحتي في مماتي · يا حافظة عهدي ، ومطيبة سهدي ، وهادية رشدي · يا ضاحكة فوق مهدي ، وباكية فوق لحدي — امي وما احلاكِ يا امي !

اذا تركني اهلي فانت لا تتركين ؛ وان ابتعد عني احبابي فانت لا تبتعدين وان نقمت عليّ جميع الحياة فانت تصفحين وترحمين · انت يا مسكنة وجعي وألمي ، ومبيدة بؤسي وهمي ، انتِ وما اصفاك يا امي !

عَلَى بساط الاوجاع ولدتني ، وبايادي الالام ربيتني ، وبعيون الاتعاب رعيتني ، وبصدر المشقات حميتني · ثم كبرت فقلوت آلامك ، وهجرت وسلوتُ ايامك · هكذا نسيت رحمي ، واحتقرت دمي · فما اعقني ، وما اوفاك يا امي !

قد غبتُ عنك يا امي فغاب عن عيني وجهك الباسم بملامحه الرقيقة الرزينة ، ومعانيه الدقيقة الحنونة · وتراكمت عَلَى رأسي هموم الحياة بضجيجها الهائل فضعضعت فكري ، وزلزلت قلبي · وتقاذفتني امواج المتاعب والشقاء فغرت في لجج طامية ، وظلمات داجيه · وبعينين غشى عليهما الرعب نظرت من اعماق قنوطي فرأيت وجهك اللطيف الثابت يبتسم اليّ من الاقاصي البعيدة فبكيت وبكيت وصرخت « يا امي ! » ..

آه ما اقسى الغربة ، وما امر الوحشة · قد كرهت البعاد يا امي واشتاقت نفسي ماضيها الامين · قد كرهت التمشي بين القصور الفخمة والمباني الشاهقة واشتاق قلبي الى بيتنا الصغير المنفرد · قد كرهت روائح العطور الفائحة من التماثيل المتخطرة في « برودواي » واشتاقت حواسي الى رائحة الامومة المنتشرة من فستانك العتيق · قد كرهت نيويورك وكرهت اميركا وكرهت العالم ولم يبقَ لي في الحياة الاكِ — الاكِ يا امي !

في المساء عندما انطرح على فراشي الخشن القاسي اذكر يديك اللطيفتين الناعمتين · وفي الليل لما تمتزج افكاري بابخرة الاحلام اشعر بقدميك الصغيرين ينقران الارض حول سريري · وفي الصباح افتح عينيَّ لاراكِ فلا ارى غير جدران غرفتي السوداء ، ولاسمعك ، فلا اسمع غير اصوات الغرباء · وفي النهار امشي متلفتاً بين النساء مفتشاً مسائلاً · « ايتها النساء هل رأيتنَّ امي؟ »

جراء الكلاب تجلس في احضان امهاتها ، وفراخ الدجاج تحتمي تحت اجنحة امهاتها ، وغصون الاشجار تبقى معانقة امهاتها · وانا — انا وحدي — بعيد عنكِ مشوق اليكِ يا امي

اذا مت يا امي ، اذا قتلني وجدي ، ودفنت آمالي في هذه الارض القاسية الغريبة ، فاجلسي عند الغروب قرب غابة السنديان واصغي · هناك روحي امتزجت بنسيمات الغابة واشجارها يرتلنَّ بهدوء متمايلات مرددات « يا امي ! يا امي ! يا امي »

« امين مشرق »